"حفل تأبين المرحوم

الأستاذ الحاج علي إنجارن"

كلمة عبد اللطيف أعمو

رئيس سابق للمجلس الجماعي

15 يونيو 2019

القاعة الكبرى – بلدية تيزنيت

السيد عامل صاحب الجلالة،

السيد رئيس جماعة تيزنيت،

السيدات والسادة الرؤساء السابقين للمجلس الجماعي ،

السيدات والسادة المستشارون،

السيدات والسادة أفراد أسرة الفقيد،

أيها الحضور الكريم،

لقد وارينا التراب يوم 31 مارس 2019 أخا من إخواننا وحبيبا من أحبائنا، يشهد له بالصلاح والاستقامة، واليوم يأبى المجلس الجماعي لمدينة تيزنيت مشكورا، إلا أن ينظم هذا الحفل التأبيني للترحم عليه، وهو بذلك يرسخ قيم العرفان وتذكر الفضل وإسناده إلى أهله.

هذا الفقيد، أيها الإخوة الكرام، كلما تذكرته عبر مراحل صداقتنا وعلاقتنا الطويلة، إلا وتذكرت واحدا من المربين الشغوفين بالعلم والمعرفة وبأداء عملهم بصدق، وكلما تذكرته إلا وتذكرت واحدا من مسيري الشأن العام المشهود لهم بالاستقامة والشجاعة، والصِدقِ في القول والعمل.

فهو من المتميزين بخدمة الإنسان في صمت، وبالالتصاق بالأرض وبمحبة غيره، وهو من المتميزين بالبذل وبالزهد في الحياة الدنيا.

ولقد كان له الفضل – رحمه الله – في قيادة مسار مدينتنا هاته لمدة تسع سنوات، في ظروف صعبة وحساسة، بحكمة وتبصر وهدوء. كما أخذ الأمور بجدية وحافظ حينها على توازنات هشة ودقيقة، من أجل الحفاظ على مكانة تيزنيت ورفعتها. فأبان عن صفة القيادة والحكمة والتدبير من موقع العارف بشؤون الناس وتدبير المجال والعلاقات الإنسانية في تطور مستمر لإقامة صرح الجماعة المتماسكة والمتضامنة.

في هذا الباب، أستسمح بإسماعكم شهادة صادرة من الفيلسوف والروائي والشاعر المغربي ، عميد كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط في شهر ماي 1987 لما زار مدينة تيزنيت، حيث يقول الدكتور محمد عزيز لحبابي:

"لقد عدت من تزنيت و أنا معجب ببلدة تسير نحو التقدم بفضل جهودكم وجهود المخلصين من أمثالكم،

فطرقها العريضة المضيئة تبتسم وترمز إلى الأمل والنمو،

إنه نشاط عمراني يبشر بالخير،

يقينا أن الأجيال الصاعدة ستعترف لكم بهذا الفضل.

فهنيئا لتيزنيت بأبنائها البررة الذين يبذلون جهودا مثابرة في خدمة المواطنين المخلصين في العمل.

تقدم يا سعادة الأخ الكريم في مسيرتك بتوفيق العالي القدير.

رجائي أن تسمح فرص استقبالكم هنا، وأكرر لكم جزيل شكري وامتناني على ما بذلتم نحوي من ود.

إن معيار نجاح أي عمدة في أي بلدة في مقدار ما تترك من تعاطف في نفس ضيوفها.

فلتسلم تيزنيت، وليسلم عمدتها وأعضاء مجلسها البلدي الموقر.

والمولى يحفظكم جميعا بخير وعافية."

ليس غريبا إذن أن يكون المرحوم قدوة لنا في الصبر والثبات والقدرة على التأقلم ومواجهة الصعاب بروية وتعقل. فقد أحسن رحمه الله من مختلف مواقعه المهنية والسياسية للكثيرين من أهل تيزنيت بدون رياء أو صخب أو بهرجة.

لقد كان الرجل يعير للشأن العام أكثر مما يعيره لشؤونه ولشؤون أسرته من اهتمام، فجعل حياته ووقته في خدمة ساكنة المدينة. ففضل الزهد والصبر ومواصلة العمل بعزيمة وبجد وبأنفة كبيرة واعتزاز قوي بالنفس وإيمان بطاقة وقدرة الإنسان، إلى أن لاقى ربه، راضيا مرضيا، رحمه الله. مما قوى في شخصيته وعزز لديه عصامية مثالية. وجعله عزيزا لدى الجميع.

فترك لنا ولأبنائه إرثا من القيم والفضائل، وتراثا من مكارم الأخلاق والمواقف المشرفة، تتضاءل أمامه كل كنوز الأرض.

لن أبحر في سرد مراحل حياة الفقيد العملية في مجال التربية والتعليم وفي سرد سيرته العامة، التي تحلى بها خلال مشواره التربوي، ولا في التذكير بمزايا حياته العامة المفعمة بحب الابتسامة وروح المرح والتواضع وعلاقته الطيبة مع الجميع.

ولا أحدثكم عن مواهبه الفنية في التشكيل والخط العربي وعن مواهبه في التحرير الإداري والمراسلات والدقة في الأرشفة، وهي مواهب يتخذها في كثير من الأحيان رمزا للتعبير والرقي في الكتابة والتشكيل ليستهدف ذكاء المتلقي ويجلبه إلى القراءة والمعرفة. وكان إبداعه الجميل أن أرسى هذه المواهب كلها لدى إخوته وأبناءه.

ولن أخوض في مناقب الفقيد وفي سيرته الذاتية في بعدها السياسي والاجتماعي والثقافي والتربوي، فقد سبقني لذلك آخرون، لكنني، وأنا إذ أستحضر بمناسبة هذه الوقفة التكريمية والتأبينية، رصيده الإنساني في علاقتي المستمرة معه، وما راكمه من تجربة مركبة الأبعاد ومتعددة الفضاءات والمكونات، أدرك اليوم كم أحن إلى إطلالاته الجميلة والمنتظمة علي في مكتبي، كلما سمحت له الظروف بذلك، فتتحول اللحظة إلى الحديث في كل المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية حول مدينة تيزنيت وساكنتها، وحول دور النخب والإشكاليات المعقدة التي نواجهها كل يوم، وحول

ما تعرفه البلاد من تحولات و إصلاحات عميقة، وما تحمله من آمال ودور الشباب في كل ذلك.

وأدرك اليوم كم أحن إلى أحاديثه الشيقة والممتعة حول السياسة والثقافة والفن وغيرها...

أدرك اليوم كم صعب أن نودع رجلا رقيقا وودودا ومعطاء من طينة الحاج علي.

فمن سيخلفه فينا بخصاله وعطائه، واللّه خير وأبقى؟ وأنا متأكد من أن هذه البلدة المعطاء وهذه الأرض الكريمة ما زالت تعطي وستعطي رجالا ونساء تلو رجال ونساء يقدرون مسؤوليتهم ويتفانون في عملهم ويحسنون لغيرهم ويحبون وطنهم.

وأحيانا خلال لقاءاتنا كنا نسترجع بنوستالجيا ذكريات الأيام الجميلة في أواخر الخمسينات و بداية الستينات، لما تطوع من تلقاء نفسه ليدرس مادة الرياضيات في العطل الصيفية لكل شباب و أبناء المدينة، و كنت احدهم آنذاك.

وكنا نحيي وننعش ذكريات ظروف انتقالنا كجيل من مرحلة الخضوع للتعلم إلى مرحلة طلب العلم والمعرفة في مسالك متنوعة ومسارات مختلفة.

ودام هذا التحدي عشرات السنين في مختلف مسالك الجامعة، حيث كان الأستاذ علي إنجارن سندا قويا لنا ومرافقا وموجها، وكان يحلو له قياس مدى نجاعة علاقته مع غيره، صداقة كانت أم علاقة مهنية أو خاصة، بمعيار المحبة الصادقة.

فبقي على حاله يعشق التنقيب في مجال الثقافة والتاريخ من أجل إفادة الغير، و فحص وتدقيق كل ما يصل إليه من معلومات و طرحها للنقاش كأفكار دون خجل أو تزمت.

وفي آخر زيارة لي له بمنزله، وهو طريح الفراش، وجدته يناظر ويحلل في مسالة مفهوم الذكاء الإصطناعي وتطور المعرفة في مجال الرقمنة.

ولا أخفي اندهاشي لهذا الاهتمام، وهو يكاد أن يكون على فراش الموت، لأبين بأن الرجل ليس مجرد وعاء للتلقي، بل هو أداة للتحليل والتفكير والعطاء ومساعدة الغير، عماده ما كان يؤمن به، ويؤكد عليه في إعمال العقل والمنطق في كل مسألة تثير انتباهه.

فكان بذلك مدرسة قائمة ومستمرة، دون طمع أو مناشدة أو استجداء موقع كيفما كان، تجتمع فيه صفات العالم الذي يتطوع

بعلمه، والعارف الذي يسخر معرفته لخدمة الإنسان.

هذه الصفات الإنسانية التي امتلكت المرحوم وسكنته، حتى أصبحت إنسانيته، لا تتمثل فقط في حب الخير والبشاشة والقدرة على التحمل، ولكن في التقاسم المباشر والمستمر لكل القيم التي يحملها، ولكل الوشائج التي تسكنه باستمرار، إلى درجة أنه تغلب على العجز عن الكلام، أثناء مرضه، واستبدله بلغة الإشارة والحركة في آخر حياته، حتى لا يتوقف معينه أو ينضب، معلنا بذلك تحديه للمرض والاستمرار في أداء دوره الإنساني دون ملل أو كلل، موظفا مواهبه الفنية في التواصل لمخاطبة الآخرين.

هكذا كان المرحوم الحاج علي إنجارن. وهكذا عرفته. وهكذا سأتذكره، رحمه الله.

وقلت في نفسي وأنا أمشي وراء نعشه في اتجاه متواه الأخير، أن أحسن ما أترحم به على هذا الصديق الذي غادرنا اليوم هي الكلمة الصادقة وكلمة الحق فيه. وهو ما أنا فاعله أمامكم اليوم.

وكان حظه، في نفس الوقت، أن وجد بجانبه زوجة ورفيقة وأما لأولاده، في شخص أرملته الحاجة فاضمة. وهي الزوجة الرؤوف والحنون، والرفيقة المحبة بإخلاص. وهي تعرف بحق عمق إنسانية زوجها في العمل والوفاء والصدق ، فجاهدت واجتهدت في مساعدته ومواساته، في السراء والضراء، حتى لا يشعر بألم أو ضجر أو عياء أو إحباط إلى آخر رمق من حياته.

وفي هذا، لا بد أن نقف وقفة إجلال وتقدير لهذه السيدة الفاضلة التي كانت مثالا للزوجة الوفية والداعمة، ومثالا لقيم العشرة الحسنة والمحبة الصادقة والحنان، بجانب أبنائها مصطفى وفيصل وبناتها الزهرة وفاطمة، الذين التقطوا، من خلال تربيتهم، مدى عمق مسيرة والدهم، فانخرطوا في نفس النهج، معتمدين في ذلك على النفس، ومستلهمين روح العطاء الجميل والسخاء الوفير من سيرة والدهم النيرة، وهم بذلك خير خلف لخير سلف.

أيتها السيدات، أيها السادة،

إن حضوركم اليوم هنا في هذه القاعة الكبرى، وبهذا الكم والنوع، هو في حد ذاته وسام في صدر المحتفى به، وسام لا يناله إلا رجال قدموا لوطنهم ولمدينتهم أغلى ما يملكون من جهد ومن عطاء... ووسام لأولئك الصادقين في عملهم، ولرموز العطاء الجليل والبذل الجميل لفائدة هذه المدينة الغراء.

والحاج علي إنجارن رحمه الله من طينة الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وإذ أشاطر جميع أقارب الفقيد وإخوته، وساكنة مدينة تيزنيت أحزانهم في هذا المصاب الأليم، الذي لا راد لقضاء الله فيه، أتوجه إلى أرملته وأبناءه، راجيا العلي القدير أن يلهمهم وإخوته وأقرباءه وذويه جميل الصبر وحسن العزاء.

وإنا للّه وإنا إليه راجعون.

عبد اللطيف أعمو